نشأة سلاح الإشارة و دوره في حرب الاستعلامات الجزائرية الفرنسية 1962-1954

الأستاذ: حليمي مصطفى
جامعة حسيبة بن بوعلي
المشرف: مجاود محمد (جامعة سيدي بلعباس)

يعتبر سلاح الإشارة "L'ARME DES TRANSMISSIONS " من بين أهم أسلحة الحروب المعاصرة، ذلك أنه العمود الفقري لمختلف المصالح. وانطلاقا من أهميته البالغة في الثورة التحريرية عمل عبد الحفيظ بوصوف على إيجاد و تهيئة كل الوسائل و الظروف لإنشاء هذا السلاح.

كمحاولة أولى؛ كلف عبد الرحمان بروّان من طرف سي مبروك بنقل جهاز إرسال – استقبال ضخم يبلغ عرضه مترين و علوه ثلاثة امتار إلى الحدود المغربية، كان هذا الجهاز أحد ثلاثة أجهزة قدمتها مصر لمساعدة الثورة التحريرية، كان مبرمجا أن يغطي الجهاز الأول الشمال القسنطيني و الثاني القطاع العاصمي و الثالث القطاع الوهراني، لكن الجهازين الأولين ضاعا (لأسباب مجهولة) و وصل الثالث لأحد المنازل بالحدود المغربية. تم تكليف ستة من الجزائريين يتقنون اللغة العربية استفادوا من تكوين بمصر على استعمال إشارة المورس لاستخدام هذا الجهاز. وما يميز هذا النوع من الأجهزة هو أنه لا يناسب حرب العصابات الدائر في الجزائر.

لقد كانت الأجهزة ثقيلة جدا و لا يمكن نقلها بالإضافة إلى كونها تعمل بالكهرباء و هو ما يجعلها وسيلة غير فعالة و سهلة الترصد من طرف الاستعمار[1] كان العمل على هذا الجهاز أحد الخطوات الأولى في سبيل تأسيس سلاح الإشارة لكن الخطوات الفعلية ظهرت بداية من الشهور الأولى لسنة 1956[2] و من المجندين الأوائل نجد سدّار سنوسي المدعو سي موسى الذي كلف بمهمة إصلاح جهاز الاستقبال و الارسال الضخم الذي كان يفتقد لقطع الغيار و كان الرجل الثاني هو علي ثليجي المدعو سي عمر ثم التحق تباعا كل من عبد المومن (عبد الكريم ديب) الغوثي (عبد الكريم حسيني) علي غراز (بوعلام دكار)[3]

تم نشر نداء للالتحاق بصفوف التنظيم على مستوى خلايا جبهة التحرير الوطني فانخرط مجموعة من الشباب الذي تتوفر فيهم الشروط التي كان من بينها أن يكون المجند أعزبا يتمتع بصحة جيدة و متعلما، و حدد الموعد يوم الاثنين 6 اوت 1956 عند غروب الشمس في أماكن مختلفة متفق عليها لتمر شاحنة مغطاة لنقل[4] المتطوعين[5] و تتحرك بهم لأكثر من ساعة (للتوميه

[1] عبد القادر بوزيد، سلاح الإشارة عهد الثورة التحريرية: شهادات، ترجمة عبد السلام عزيزي، المؤسسة لوطنية للاتصال و النشر و الاشهار، الجزائر، 2015، ص 13 – 14

[2] عرف استحداث مصالح الاتصالات تطورات عدة منذ بداية سنة 1956 و تولدت عنها مصالح ملحقة متخصصة مثل مصلحة فك الرموز ومصلحة الترقيم. وفي يوم 08 أوت 1956 نشأت مدرسة الاتصالات وفي نهاية 1956 قدم سنوسي صدار المسمى موسى بتأسيس مركز تنصت إذاعي كهربائي صار عمليا في الفاتح جانفي 1957 ، و في شهر أفريل 1957 تم استقبال دورة تكوينية جديدة مشكلة من 32 شابا في مركز التدريب التقني للاتصالات واستقبل مركز التنصت الإذاعي الكهربائي جنودا متخصصين كانوا يستخدمون لأجهزة استقبال من هامارلوند س.ب 600 و من كولنس المصنوع في و م أ و أخذ من القواعد الأمريكية المقيمة بالمغرب. ينظر: نجادي محمد، شهادة ضابط من المصالح السرية للثورة الجزائرية، ترجمة محمد المعراجي، دار هومه للطباعة و النشر و التوزيع، الجزائر، 2014، ص 197

[3] عبد القادر بوزيد، المصدر السابق، ص ص 14 – 15

[4] تم نقل هؤلاء المتطوعين إلى منزل الأستاذ تريكي و هو محام جزائري مقيم بوجدة أين وجدوا جنود ضخام أشداء بلباس عسكري مزودين بأسلحة رشاشة. لا نملك معلومات دقيقة عنهم لكن المرجح أنهم فرقة "خاصة" جندت وفق شروط معينة تلقت نفس التدريب و في نفس الوقت و نعتقد أنها مهامها غير هجومية.

[5] عبد القادر بوزيد، المصدر السابق، ص ص 17 – 20

و تفاديا لأي مراقبة) كان الجميع صامتا و منقبضا لانهم رهنوا مصيرهم في سبيل مشروعهم.[6] أدخل هؤلاء المجندين[7] الواحد تلو الآخر في حجرة كان ضوؤها خافتا إلى البيت[8] المتفق عليه[9] بتلك الغرفة التي تحتوي على طاولة و يجلس عليها شخص ذو ملامح يابانية بوجه صارم شعره محلق بالكامل تقريبا بوجه دائري شاحب جاد و عينين حادتين تخفيهما نظارات ذات زجاج سميك يرتدي سترة رمادية اللون محكمة الأزرار حتى العنق شبيهة بسترة القائد العسكري الصيني ماوتسي تونغ. بجانب هذا الشخص على اليسار كان يوجد شخص آخر ذو ملامح صارمة و وجه شاحب نحيف جدا بنظرات حادة و شعر كثيف يرتدي جلابة[10] (قشابية) [11] كان الرجلين أشبه بمنحوتتين حجريتين في انتظار المجندين وكانت مهمتهما استجواب المترشحين 27 و اختبار

---

[6] الحاج عبد الرحمان بروان، المالغ القصة الكاملة، شهادة أحد رفاق القائد عبد الحفيظ بصوف، المؤسسة لوطنية للاتصال و النشر و الاشهار، الجزائر، 2015، ص 53

[7] هم على التوالي: عاشور عبد القادر المدعو عزوز، عطار مصطفى المدعو فريد، بن ناصف مصطفى المدعو العربي، بن ديمراد محمد المدعو شهيد، بن ميلود نور الدين المدعو بن سودة، بروّان عبد الرحمان المدعو صفر، بكلي حسان المدعو عبد الوافي ، إبراهيم المدعو زناقة ، غوار عبد المجيد المدعو عيسى ، حجاج عول مصطفى المدعو محفوظ حقيقي بن عمار المدعو رشيد ، حسان بن يخلف المدعو منير ، كريم عبد الكريم المدعو واسيني ، سفر جلي محمد المدعو منصور ن ميلود ، يوسف (تم تسريحه) عبد القادر بوزيد المدعو أبو الفتح.

[8] تمت تهيئة البيت كمركز للتكوين. و هو مربع الشكل يتكون من طابقين : الطابق الأرضي يحتوي على غرفتين تأويان العائلة المعينة و غرفة خاصة بسي موسى المسؤول عن جهاز الارسال و الاستقبال الضخم و أخرى لسي عمر المسؤول عن الأمن و مصلحة التنصت. أما الطابق العلوي فيحتوي على ثلاث غرف اثنتان منها اعتمدت كمرقد وواحدة للدروس. وقد استمر هذا التكوين من 08 أوت 1956 إلى غاية 10 سبتمبر 1956

[9] كانت أول "مدرسة لمصالح الاتصالات" قد تكونت في مدينة وجدة في مسكن المسمى عبد القادر حمود، ثم تحولت إلى مكان آخر أكثر اتساعا يسمى دار الملحاوي و أخيرا انتقلت قريبا من الناظور بالريف المغربي و كانت الدروس تتكون مما يلي: القراءة المسموعة (الأبجدية، المورس بسرعات اطرادية أكثر تسارعا)، العمل بأجهزة الراديو الكهربائية، حركات الإشارة و إرسالها، دراسة أجهزة الارسالو الاستقبال. ينظر: محمد زروال، الاتصالات العامة في الثورة الجزائرية 1954 – 1962، دار هومه للطباعة و النشر و التوزيع، الجزائر، 2015، ص 117

[10] الشخص الأول كان بوصوف قائد الولاية الخامسة برتبة عقيد وقتها و الثاني الرائد بومدين (بوخروبة)

[11] عبد القادر بوزيد، المصدر السابق، ص ص 17 – 20

استعدادهم النفسي و دوافعهم الذاتية من خلال حزمة من الاستمارات التي يطلب من الوافدين الجدد ملؤها. و تحتوي هذه الاستمارة على أربع صفحات من الأسئلة الدقيقة تخص كل حياة الشخص المعني. أصوله العائلية، دراسته من أول سنة، نشاطاته في الجمعيات، نضاله، علاقة الأهل بالأحزاب السياسية الموجودة. و الملاحظ أن المحققان كانا يركزان بدقة على تطبيق المادة السابعة من الفصل الثاني للنظام الداخلي لحزب جبهة التحرير.[12]

كان المجند الحاج عبد الرحمان بروان[13] محل شك من طرف سي مبروك. لقد كان الوحيد القادم من فرنسا. كان آخر من مر على اللجنة. استغرق الحديث معه وقتا أطول. كان هناك احتمال ان يكون مدسوسا من الحزب الشيوعي[14] الذي كان قد أبدى إمكانية للتعاون مع جبهة التحرير الوطني. لكن في آخر المطاف تمت الموافقة على تجنيده. و في مرحلة لاحقة عملت قيادة جيش التحرير للولاية التاريخية الخامسة على نقل مجموعة من المجندين إلى القاعدة 15

[12] الحاج عبد الرحمان بروان، المصدر السابق، ص ص 53– 54

[13] ولد في غليزان 17 جوان 1929 لأبوين من مازونة هما امحمد ولد الحبيب و ابنة بوقرط المعروفة ببنت الباي. اجتاز الشهادة الإعدادية و نجح فيها ليسجل في المدرسة التكميلية بسيدي بلعباس . تخطى عتبة البكالوريا بنجاح في الكوليج العصري و ادخل العلوم التجريبية لكن القرار الاستعماري منعه من افتكاك الجزء الثاني البكالوريا بحجة أنه لم يكن ضمن الكوطة المخصصة للأهالي . وأخيرا تحصل على البكالوريا قسم الفلسفة و بامتياز في فرنسا . بدا وعيه السياسي يتشكل منذ انضمامه للكشافة الإسلامية . استفاد من الدروس المسائية لجمعية العلماء فتكون في اللغة العربية و تاريخ الجزائر القديم و الحديث. أصبح طالبا في كلية العلوم السياسية بجامعة تولوز. كان يتعقبه دائما اثنان من مفتشي المخابرات الداخلية (DST) لاشتباهه في الانتماء الى جماعة متطرفة أو تخريبية حيث كانا يفعلان ذلك يوميا و علانية. ترك مقاعد الدراسة في السنة الثانية جامعي وجند في وجدة المغربية و انظم لأول دفعة في سلاح الإشارة في 6 أوت 1956 وهو أول طالب جزائري من فرنسا يلتحق بالثورة في الغرب

[14] بعد 1956 و بداية حل معظم الأحزاب لنفسها و انضمام أفرادها فرادى لجبهة التحرير حاول الحزب الشيوعي الجزائري إنشاء تنظيم ثوري شيوعي في الونشريس و لقد تمكن موريس لابان و هو من قدماء "الألوية الدولية" في إقامة معسكر شيوعي مع من يسمون "محاربي الحرية " و حاول أن يلتحق بجيش التحرير الوطني و في يوم 4 افريل 1956 فر المرشح هنري مايو من الجيش الاستعماري و التحق بالثوار الشيوعيين بشاحنة مليئة بالعتاد الحربي تحتوي على 120 مسدس رشاش من نوع "ستان" و 85 بندقية و 140 مسدس. ينظر : الحاج عبد الرحمان بروان، المصدر السابق، ص55

التي كانت تقوم بتعزيز مصالحها التقنية، و هو ما يستلزم وجود طاقات شابة عالية التعلم[15]، و بالفعل تم نقل مجموعة من المتحصلين على البكالوريا من سعيدة و معسكر إلى ناحية أوزيان قرب برغنت بشرق المغرب[16] معقل سلاح الإشارة و جهاز المخابرات الجزائري

إن فكرة إنشاء مصلحة خاصة بالتنصت و الاستخبارات[17] لم تظهر إلا بعدما استقرت قيادة الأركان للولاية الخامسة بالحدود الغربية أي خلال شهر جانفي 1956 أما عمليات التنصت بحد ذاتها فلم تبدأ إلا في شهر جوان أو جويلة 1956 و هو التاريخ الذي تم فيه : [18] جمع التقنيين أمثال عبد الموؤمن، زيدان ، علي غراز ، الغوثي، تعيين ضباط مسؤولين عن تنفيذ المهام و الحصول على أجهزة استقبال متطورة. حيث تم في مدينة تطوان تركيب اول محطة إذاعية تابعة لجيش التحرير الوطني يتم تنصيبها بالخارج مزودة بأجهزة جد متطورة : جهاز إرسال من نوع ART/13 من صنع أمريكي استخدم في الملاحة الجوية العسكرية الأمريكية تصل قوته إلى 100 واط أما جهاز الاستقبال فكان من نوع BC 610 ذو حساسية التقاط جد عالية [19] و تعزز هذه الإجراء ببعض المجندين ذوو كفاءات عالية[20]

---

[15] يقوم التجسس بالأساس على ذكاء و فطنة الأفراد أو المجموعة التي تقوم بها. ينظر: صالح محمود عابدين، المخابرات و الأمن و الجاسوسية، مكتبة مدبولي، مصر القاهرة، 2003، ص 54

[16] نجادي محمد، المصدر السابق، ص 118

[17] يتميز النشاط الاستخباراتي بالعمل السري في حقل أو ميدان معين للاطلاع على أسراره و نقل المعلومات المكتشفة بوسائل مختلفة إلى من يهمه الامر و قد يكون ذلك الحقل متعلق بالتجارة أو العلوم أو الصناعة أو الفنون أو الشؤون الدينية و العسكرية و السياسية ينظر: شوقي عبد الكريم، الاستخبارات الجزائرية في العصر الحديث 1492 – 1830، ط1، دار هومه للنشر للطباعة و النشر و التوزيع، الجزائر، 2017، ص 26

عن مفرج أسعد و آخرون، موسوعة عالم المخابرات، أصل الجاسوسية و تطورها، ج01، دار نوبيلي للنشر و التوزيع، بيروت لبنان، 2005، ص 09

[18] عبد القادر بوزيد، المصدر السابق، ص 25

[19] عبد القادر بوزيد، المصدر السابق، ص 21

[20] عملت قيادة الولاية التاريخية الخامسة على تعزيز كفاءاتها البشرية من خلال عملية تجنيد جديدة مست ذوو الكفاءات العالية. و قد كان هؤلاء المجندون الجدد هم محمد دحو ولد قابلية المدعو سلمان، نجادي محمد المدعو مقران، بختي

في بداية الأمر كانت عملية التنصت تركز على شبكات الدرك المعسكرة بالقطاع الوهراني والجنود، فكل أعمال و تحركات الجنود في الجبال أو الفدائيين في المدن كانت تسجل بدقة في التقارير . و من الأشياء الإيجابية في هذه الفترة هو أن الإدارة الاستعمارية لم تكن تشك أبدا في قدرة المجاهدين على التجسس عليه عبر الموجات لفترة طويلة من الزمن[21] حيث كان الجيش الفرنسي قبل شهر سبتمبر و أكتوبر 1956 يرسل رسائله عبر موجات قصيرة بلغة واضحة وإيراق لفظي يشير في مدلوله إلى النشاط الثوري للمجاهدين و الفدائيين و حينما يتعلق الامر بتقرير سري ذي علاقة بوجود مجاهدين في مكان ما أو اكتشاف مخبأ للأسلحة أو اعتقال أحد أعضاء تنظيم جبهة التحرير الوطني فإنه كان يحتاط عملا بالتدابير الأمنية فيستعمل إشارات المورس التي يضبطها على سرعة 1200 و أكثر من ذلك و لكنها كانت تفك من طرف التقنيين، و تمكنوا من خلالها رصد كل ما يقوله الجيش عن تحركات المجاهدين و حتى على الخونة الذين يعملون مع الدرك[22] و كانت المصالح التقنية تقوم باستغلال جميع تلك المعلومات و العمل على استخراج أكبر قدر من الفائدة منها[23] لتكوين بنك معلوماتي و قاعدة معرفية حول الإدارة الاستعمارية[24]

أحمد المدعو عثمان، و ملسردون محمد المدعو سيد أحمد، شنتوف صافا و جاكر جلال المسمى موفق و ملياني منور لمدعو جمال و ودان أحمد المدعو حبيب و شعلة حمزة و ثابتي العربي و ميكيوي نور الدين المسمى مختار و الجيلالي محمد المسمى مصطفى و مومن أحمد المدعو يوسف... و غيرهم نجادي محمد، المصدر السابق، ص 118

[21] عبد القادر بوزيد، المصدر السابق، ص 26

[22] نفسه، ص 27

[23] نجادي محمد، المصدر السابق، ص 197

[24] يشير الكاتب محرز عفرون في حديثه عن مغزى الكلمات و وزنها في مهمة التجسس أن المقياس الأساسي في المهمات التجسسية هو التمكن من معرفة القدرات العسكرية للعدو و معلومات عن جغرافيته و تضاريسه و مناخه وموارده الزراعية و تجاره و أن يملك ضابط الاستخبارات و التجسس المعارف العسكرية الكافية في ميدان التجسس بصفة خاصة لان تلك المعارف تعطي الأولوية لتكوين ملمح الكفاءة في هندسة القتال. ينظر: عفرون محرز، آل روتشلد و آل بكري و تاليران. الملفات السياسية السرية في تاريخ الشعوب، ترجمة مسعود حاج مسعود، دار هومه للنشر للطباعة و النشر و لتوزيع، الجزائر 2013، ص ص 161 – 163

بداية من 1957 توسع التنصت ليشمل شبكات الجيش و المقرات الولائية و الحكومة العامة و أحيانا بعض المحطات المتواجدة بالأراضي الفرنسية و وصل الأمر إلى مراقبة كل إشارة تنطلق من الإدارة الاستعمارية. كانت الشفرات المفككة تحول إلى الآلة الراقنة لكتابتها و من ثم توضع في ظرف و تسلم في مكان معين عن طريق رمي الرسالة تحت باب شقة و دق الجرس و الذهاب بسرعة دون أن يرى المرسل و المستقبل بعضهما البعض.[25] كانت هذه العملية مهمة جدا و كانت تكفل ربط الاتصال بين الداخل و الخارج عن طريق مركز قيادة الشبكات لقيادة الأركان للولاية الخامسة و التركيز على نقل تعليمات المسؤولين السامين الذين كانوا يجتمعون في تطوان إلى بقية المناضلين [26]

تمكنت مصلحة الاتصال و التشفير من تكوين الدفعة الثانية للجهة الغربية التي حملت اسم "دفعة العربي بن مهيدي" و قد استطاع 49 متربصا من التحكم في كيفية استعمال المورس (أخفق ثلاثة متربصين) و وصل بالمتربصين إلى ان يتحكمو في الأجهزة القارئة للاصوات بسرعة 1300 ، 1400 ، 1500 (هذه السرعات تعتمد في الاتصالات السرية عالية الأهمية للجيش الفرنسي) بالإضافة الى تمكن الدفعة من استيعاب طريقة إصلاح الأعطاب . بالإضافة إلى كل ذلك تلقت الدفعة تكوينا عسكريا صارما تكفل به بومدين تركز حول كيفية استعمال السلاح واستراتيجيات حرب العصابات.[27]

في مقابل ذلك كانت الإدارة الاستعمارية تعمل على قدم و ساق لمواجهة الثورة التحريرية على مختلف الأصعدة، ففي الوقت الذي كانت تجهل فيه وجود سلاح الإشارة داخل جيش التحرير الجزائري وجهت جهودها للدعاية المغرضة حيث كانت الإدارة الاستعمارية برئاسة

[25] تم اعتماد نفس الشقة لمدة 04 أشهر من أكتوبر 1956 إلى فيفري 1957 و هذه الشقة هي قاعة التحرير للفريق العامل بجريدة المجاهد

[26] عبد القادر بوزيد، المصدر السابق، ص ص 27 – 29

[27] نفسه، ص 32 – 34

سوستيل تشرف على عصابة[28] للتضليل و التزييف الإعلامي ، حيث تقوم بتزوير البلاغات و التعليقات عن جبهة التحرير الوطني و تذيعها باسم "إذاعة صوت العرب من القاهرة"، نقل هذا المركز الإذاعي حصص إذاعية تسجل بالعربية و تذيعها محطة الإرسال الباريسية رقم 02 في مساء كل يوم ابتداء من الساعة العاشرة بالإضافة الى حصص إذاعية تحمل اسم "صوت الجزائر" مهمتها الدعاية للحركة الميصالية و كذا حصص أخرى تذاع باسم إذاعة صوت العرب من القاهرة على نفس موجات صوت العرب و في نفس الوقت و نفس اللهجة [29] و في مرحلة لاحقة أنشأت الإدارة الاستعمارية من أعلى هرمها ترسانة قوية جدا من أجهزة الإعلام و العمل النفساني[30] بداية بمصلحة " العمل النفساني و الإعلامي " لدى ديوان وزير الدفاع الوطني الفرنسي، بالإضافة إلى إنشاء مكتب الدراسات و الاتصالات و مركز التنسيق ما بين الجيوش، و مركز الإعلام العام[31] و المجلة العسكرية للإعلام[32] و كذا مركز الإرشاد و التهدئة و مناهضة المقاومة، و يضاف إلى كل ذلك المكاتب الإدارية المختصة SAS[33] و أجهزة الدعاية العادية

---

[28] تشرف هذه العصابة على برامج إذاعية و صحفية بإشراف أخصائيين فرنسيين ينتمون جميعا إلى قسم الجاسوسية و عصابات ابد الحمراء و مسؤولهم المباشر هو الكوموندو "كولون" و هو من ضباط الشؤون الاهلية. ينظر محمد الصالح الصديق عملية العصفور الأزرق، ط2، دار دحلب للنشر و التوزيع، الجزائر ، 2008، ص 57

[29] محمد الصالح الصديق، المصدر السابق، ص ص 57 –58

[30] بلغ عدد مستخدمي المصالح النفسية و الإعلامية الفرنسية 884 ضابط و 603 ضابط مساعد و كذلك 1740 جندي عام 1958 و كانت موزعة على 660 دائرة و كان هؤلاء الضباط الذين كانوا على اتصال بالأهالي يسمون بضباط الشؤون الأهلية، و كانت مهمتهم إحباط معنويات الجزائريين من خلال عمل يومي مستمر و متعدد الاشكال و الصور.

[31] مركز الاعلام العام : هو هيكل العمل النفساني للجيش الفرنسي ملحق بالمكتب العسكري و بمديرية الشؤون السياسية للمفوضية العامة ، مهمته الإعلام و الصحافة ينظر : عاشور شرفي ، قاموس الثورة الجزائرية ، 1954 – 1962 دار القصبة للنشر ، الجزائر 2007 ص 324

[32] المجلة العسكرية للإعلام : ادارها العقيد لاشوي و هي موجهة للإطارات العسكرية و تنشر التوجهات الجديدة في الحرب المناهضة للعصابات ينظر : عاشور شرفي ، المرجع السابق ، ص 313

[33] تظم هذه المكاتب خبراء في الحرب النفسية وحرب الدعاية وعلماء وخبراء في علم الاجتماع وعلم النفس وأجهزة الاستخبارات بفروعها المتعددة لنشر ثقافة اليأس والإحباط في نفوس الشعب في محاولات يائسة لتثبيط العزائم والإساءة للثورة .

كالمجلات التي تأتي على رأسها مجلة اتصالات[34] و كذلك الصحف و الإذاعة و المناشير و الإنتاج السنيمائي.[35] و في هذا الصدد يجدر بنا الإشارة إلى أن هذه الترسانة فشلت أمام الإعلام الشفهي البسيط الذي كان بداية و انطلاقا لإعلام جبهة التحرير الوطني الذي لم تجد له السلطات الفرنسية من سبيل للقضاء عليه سوى استخدام أسلوب التحقير و الاستخفاف به و وصفه بالكذب و التفاهة و أطلق عليه أوصافا و نعوتا كـــــ "راديوا العرب" "راديو الرصيف" ... [36] و مع مطلع سنة 1958 و انتباهها لوجود سلاح الإشارة و التسليح كثفت مصاح الاستخبارات الفرنسية من نشاطها و حاولت مرارا اختراق مديرية التسليح و اللوجيستيك التابعة لجيش التحرير الوطني بالمغرب . واستطاع جهاز المخابرات الفرنسي الاستفادة من خدمات عميل مصري تواطئ للإطاحة بالمسؤول عن التسليح في جبهة التحرير و لأجل هذا اتصل بالشيخ خير الدين[37] و أعلمه برغبته في الاتصال بالمسؤول عن التسليح في جبهة التحرير لتمرير صفقة سلاح وذخيرة. إلا أن تفطن سي منصور[38] للتواطؤ دفعه لإعلام خلية الكوماندوس للتحقيق مع العميل المصري، و تم بالفعل تنفيذ عملية المراقبة لمنزل العميل المصري و تتبع جميع من تواصل معه، و انتهى التقرير إلى معلومات خطيرة تؤكد تواصل المصري مع ثكنة عسكرية فرنسية تقع في مكناس [39] و على مستوى آخر نصب الجيش الفرنسي أجهزة بث قوية جدا للتشويش على اتصالات جيش التحرير و ضبطها على الترددات التي يتسخدمها جيش التحرير مما سبب لهم ضجيجا و صخبا صوتيا قويا و تحول في بعض الأيام إلى بث أغاني عربية لإيهام الطرف الجزائري بان هذه

---

[34] عاشور شرفي ، المرجع السابق ، ص 28

[35] اتصالات (CONTACTS) مجلة دعائية للعمل النفساني في الجيش الفرنسي اشرف عليها العقيد كونيه كانت تعرض سياسة التهدئة و تدافع عنها ينظر عاشور شرفي : المرجع السابق ، ص 245

[36] أحمد حمدي ، الثورة الجزائرية و الإعلام ، دراسة في الاعلام الثوري ، الطباعة الشعبية للجيش ، الجزائر ، 2007 ص ص 82 – 83

[37] هو أحد قادة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين و كان ممثلا لجبهة التحرير لدى السلطات المغربية

[38] بوداود محمد المدعو سي منصور ضابط جيش التحرير الوطني و مسؤول مديرية التموين و التسليح للغرب بوزارة التسليح و الاتصالات العامة

[39] بوداود محمد، المصدر السابق، ص 104

الموجات لإذاعة عربية صديقة و لكن ثبت عكس ذلك بعض أن لاحظ فريق الاتصال و التشفير أن الاغنية التي تبث عبر هذه الموجات هي نفسها معادة للفنانة اللبنانية صباح لمدة ساعتين وكانت تبث بشكل عكسي و معاد و هو ما يدل على ان هذا اختراق و ليس بث إذاعي عادي وبقي التشويش متواصلا لمدة ثلاثة أو أربعة أشهر [40] و أمام استحالة اختراق و تفكيك شفرات جيش التحرير عمد الاستعمار الفرنسي الى محاولة اختراق مصلحة التنصت من خلال السعي للقبض على أحد أعضاء الفريق أو دس أحد الجواسيس داخل المصلحة و هو ما حصل مع أحد الجواسيس[41] الذي أقنع بعض المجاهدين بضرورة الانضمام إليهم ليجد نفسه بمركز التدريب بفندق شاوشة بالقرب من مدينة تنس في الفترة الممتدة بين شهري ماي و جوان 1959 و بعد انتهاء التربص عين في أحد المحطات بالقرب من الحدود و بعد مرور وقت قصير من تعيينه سرب نسخة من شفرات جيش التحرير و حاول أن يلتحق بالجيش الفرنسي لكن جنود جيش التحرير قبضوا عليه[42] وبعد عملية الاختراق هذه عمدت جبهة التحرير إلى الرد بالمثل حيث تمكن بعض الجواسيس من الوصول بشكل نظامي و دائم الى بعض المعلومات من مصادر عسكرية و سياسية و تمكنت الجبهة من التعرف على طرق التشفير المستعملة[43]

أمام تسارع الأحداث و تطور الثورة التحريرية أصبح لزاما تطوير العمل الاستعلامي وتطوير إمكانيات مصالح الاستعلام. كانت هناك أربع مصالح متداخلة العمل و هي مختلفة: الاتصالات – التنصت – التشفير – فك الشفرات . حيث تمر المعلومة الواحدة بكل المصالح و

[40] عبد القادر بوزيد، المصدر السابق، ص 45 – 46

[41] كان هذا أول اختراق فرنسي لمصلحة التنصت. احيل المتهم على المحكمة العسكرية، كان المفترض أن يعدم . لكن لم يحدث ذلك لعدة اعتبارات لم تذكرها المصادر بشكل واضح و صريح لكن المرجح أن أطرافا مختصة تدخلت لتخفيف حكم المحكمة مقابل عرض منه للتجسس المزدوج . في كل الحالات تم إخلاء سبيله و تمت مراقبته مراقبة شديدة جدا . و ابتداءا من سنة 1967 أصبح مجنونا يكلم نفسه بصوت عال و كأن عدوا وهميا يطارده . كان ذلك بأعالي شوارع العاصمة و بالتحديد شارع ديدوش مراد توفي بعد سنتين من جنونه.

[42] عبد القادر بوزيد، المصدر السابق، ص 60 – 61

[43] نفسه، ص ص 61 – 62

تبدأ من التنصت لأخذ معلومات ثم تحويلها إلى مصلحة فك التشفير لتحويلها إلى معلومة كتابية ثم تمر إلى مصلحة التشفير لإعادة إرسالها إلى المصالح المختصة . كانت الحلقة الضائعة وسط كل هذه المصالح هي المصلحة الخاصة بمعالجة المعلومات و هي أهم مصلحة في حلقات التنصت و التجسس . في هذه الأثناء كان بوصوف يعمل على تخريج نواة مصلحتين أطلق عليهما مصلحة التوثيق و تهتم بالاستعلامات و الثانية مصلحة اليقظة و تهتم بمكافحة التجسس و أصبحت تعرفان[44] لاحقا بمديرية التوثيق و البحث (DDR) ومديرية اليقظة ومكافحة التجسس (D VCR)[45] و هو ما تم إنجازه فعلا في قاعدة ديدوش مراد[46] التي ضمت مصالح D.D.R و D.V.C.R[47] المكلفتان باستقبال المعلومات لاستغلالها، و قد استطاعوا بالفعل تنظيم تنصت عالي المستوى على كل الشبكات المدنية والعسكرية الفرنسية ساس و G.M.P.R بالإضافة إلى العمالات و الثكنات والدرك و النواحي العسكرية.[48] في تقارير متكاملة و عالية الدقة[49]

---

[44] المعلومات خول هذين الخليتين شحيح جدا . الكثير من المجاهدين الذي كانوا قريبين من الخليتين أكدوا استحالة الوصول إليهما بسبب الفصل الصارم بين المصالح فلا أحد يعرف الآخر بينما بوصوف يعرف الجميع و عون مجهول الهوية ينسق بين المصالح و يربط الاتصال بينهم.

[45] عبد القادر بوزيد، المصدر السابق، ص 62 – 63

[46] قاعدة ديدوش مراد: كانت هذه القاعدة موجودة في الصحراء على بعد كيلومترات من طرابلس ليبيا ، و كانت هذه القاعدة هي دماغ المالغ ، كل المعلومات كانت تأتي إلى هذه القاعدة في شكل تقارير ورسائل، ينظر: نجادي محمد، المصدر السابق، ص ص 200 – 202

[47] مديرية اليقضة ضد الجوسسة (DVCR) تأسست في منتصف 1959 . اول مسؤول عنها هو عبد الرحمان بروان المدعو صفر مهمتها الأساسية هو الحفاظ على أمن الثورة داخل الجزائر و خارجها. وجهت جهودها إلى اكتشاف نقاط الضعف في الثورة و تدعيمها و بذلت جهودا كبرى مضادة لشبكات المكتب الثاني التابع للجيش الفرنسي و اليد الحمراء و أبلت بلاء حسنا في مراقبة قيادات الدولة الفرنسية ينظر محمد زروال، المصدر لسابق، ص 153

[48] نجادي محمد، المصدر السابق، ص 198

[49] كانت هذه التقارير من إعداد إطارات إدارة التوثيق و إدارة اليقظة الأكفاء ذوو المستوى التعليمي العالي و الذين استفاد بعظهم من تكوين خاص من طرف لجنة أمن الدولة السوفياتي (جهاز المخابرات السوفياتي K.G.B) في عملية نوعية جدا سميت "بالبساط الأحمر" وعرفت نجاحا كبيرا على الرغم من أن السوفيات اشترطوا على الجزائريين عدم كتابة أي شيء خلال الدورة التكوينية. ينظر: نجادي محمد، المصدر السابق، ص ص 204 – 205

كانت التقارير و الرسائل و الحوصلات و الدراسات ترسل إلى الحكومة المؤقتة و الأركان الجيش و بعض الولايات و قد لعبت هذه التقارير دورا مهما في المفاوضات مع فرنسا، حيث تم وضع ملفات عن الوضعية العسكرية و الاقتصادية و الاجتماعية و كانت هذه الملفات تسمح لقادة المفاوضات الجزائرية مواجهة المفاوضين الفرنسيين الذين كانوا مندهشين من سعة معارف المفاوضين الجزائريين و صحة كلامهم و دفاعهم المباشر و السريع على كل نقطة يثيرها الفرنسيون [50] و كانت كل هذه الإجراءات تمر عبر مصلحة المخابرات و الاتصالات (SRL) [51] و الشبكة الخاصة رقم 4[52]

[50] محمد زروال، المصدر السابق، ص ص 182 – 183 وينظر أيضا: نجادي محمد، المصدر السابق ص ص 204 – 205

[51] تتكون من أربعة فروع: فرع المعلومة و العمل البسيكولوجي، فرع العمل السياسي (SAP) المخابرات المضادة (SCR) الفرع العسكري العام (SMG). ينظر: محمد زروال، المصدر السابق ص ص 150 – 151

[52] تعتبر من أكثر خفايا أجهزة المخابرات حتى العاملين بها لا يعلمون ما الذي يقومون به بالضبط لتعدد المهام و تشابكها المتعمد، إدارتها مركزية، لا أحد يعلم لماذا سميت بهذا الاسم و لماذا اختير الرقم أربعة و المهمة الحقيقة للشبكة، أولى المعلومات المسربة عنها تم في سنة 2014 من طرف محمد لمقامي أحد أعضائها، تم اختيار أعضائها بناء على الولاء المطلق و المركزية التي تلغى التدرج في سلم المسؤولية ، أنشأت من طرف بوصوف و كلف بها توفيق كمسؤول عنها ينوب عنه عبد العزيز في الشرق الجزائري و لمقامي في الغرب، كان من أهم عمليات هذه الشبكة مراقبة الاتصال، تهريب الأسلحة و أعمال أخرى.

ختاما:

لقد وصلت مصالح مديرية التوثيق و البحث و مديرية اليقضة و مكافحة التجسس على المستوى السياسي إلى درجة من الفعالية أصبحت فيها الدراسات التي حضرتها و أعدتها تشكل وثائق مرجعية تعتمد عليها المؤسسات الحكومية لتلك الفترة بكل ثقة في اتخاذ قراراتها و كانت المعلومات التي تصل من المخبرين تجمع و تدرس و تحلل و تقص و تحقق و تقارن و تلخص و في الأخير تدون في نشرية الاخبار الأسبوعية (BRH) التي أصبحت ذات قيمة كبيرة لنوعية محتواها و مصداقية معلوماتها إلى درجة أنه يستحيل عقد أي اجتماع للحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية (GPRA) من دون هذه الوثيقة . كما كان يتم بموازات ذلك نشر نشريات يومية (BRQ) و أخرى شهرية (BRM) . كل وثائق العمل التي تم استخدامها في اجتماعات المجلس الوطني للثورة الجزائرية و اعتمدت عليها مختلف وفودنا أثناء المفاوضات أما على المستوى العسكري فقد أعدت قاعدة ديدوش مراد (مديريتي التوثيق و البحث و اليقظة و مكافحة التجسس) هيكلة للجيش الاستعماري الضخم المعسكر بالجزائر بجميع القطاعات و كل فيالقه فوجا فوجا و بأسماء الضباط و أسماء ضباط الصف (و معلومات شخصية خصوصية عن بعض الضباط عند الاقتضاء) و مواقع الفرق العسكرية و تحركاتها و خططها و طبيعة و نوعية أسلحتها . كان التراب الجزائري ممشطا بالسنتيمتر و أعيد رسمه على خرائط عملاقة بمقر قيادة الأركان . كل الحواجز و الاسلاك الشائكة و المناطق الملغمة كانت معينة فوق تلك الخرائط البيانية و كانت أي حركة جديدة للجيش الفرنسي يتم رصدها . كان الزوار العسكريون و السياسيون الذين يرون درجة الاختراق التي وصلت إليها القاعدة يعتقدون انهم يحلمون كانوا يعتقدون ان هذا خيال. توقف هذا الاعتقاد و أصبح يقينا حينما يجدون أن جدول الأعمال الفرنسي المقترح في المفاوضات اطلعوا عليه قبل الاجتماع. هذا هو الاختراق . بعدها فهموا ما الذي يقوم به هؤلاء الأشخاص الجالسون في مكاتبهم و كيف لهم أن يتسببوا في قتل كتيبة عسكرية أو إحيائها (بإذن

الله) بجملة و معلومة واحدة . كانت هذه المعلومات كلها تأتي من مديريتي التوثيق و البحث و اليقظة و مكافحة التجسس تمر إلى التشفير ثم إلى الاتصالات التي تضمن لها الوصول إلى غاية النقاط البعيدة على مستوى الجبال و تعود المسؤولية حينئذ إلى القائد العسكري ليقرر القيام بالهجوم أو الانسحاب حسبما تفتضيه الظروف